وأهله فى مقابلة ما كان يذمه ، كما قال عبد الله بن الزبعرى حين أسلم .

يارسول المليك إن لسانى * راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجارى الشيطان فى سنن الغى * ى ومن مال ميله مثبور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبى ﷺ وهو ابن عمه وأكثرهم له هجواً ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كان يهجوه ، ويتولاه بعد ما كان قد عاداه ، وهكذا روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال يا رسول الله ثلاث أعطنيهن قال « نعم » قال : معاوية تجعله كاتبا بين يديك قال « نعم » قال وتؤمرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال « نعم » وذكر الثالثة ولهذا قال تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) قيل معناه ذكروا الله كثيراً فى كلامهم وقيل فى شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما سبق وقوله تعالى (وانتصروا من بعد ماظلموا) قال ابن عباس يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد وهذا كما ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان « اهجهم ـ أوقال ـ هاجهم وجبريل معك » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبى ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل فى الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل » وقوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) كقوله تعالى (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) الآية ، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » قال قتادة بن دعامة فى قوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) يعنى من الشعراء وغيرهم ، وقال أبو داود الطيالسى حدثنا إياس بن أبى تميمة قال حضرت الحسن ومر عليه بجنازة نصرانى فقال (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) وقال عبد الله ابن أبى رباح عن صفوان بن محرز أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أقول قد اندق قضيب زوره (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) . وقال ابن وهب أخبرنى ابن سريج الاسكندرانى عن بعض المشيخة أنهم كانوا بأرض الروم فبينما هم ليلة على نار يشتوون عليها أو يصطلون إذا بركبان قد أقبلوا فقاموا إليهم فإذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوه فجلس معهم ـ قال ـ وصاحب لنا قائم يصلى حتى مر بهذه الآية (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يخربون البيت . وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين . والصحيح أن هذه الآية عامة فى كل ظالم كما قال ابن أبى حاتم . ذكر عن يحيى بن زكريا بن يحيى الواسطى حدثنى الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدى حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المحبر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : كتب أبى فى وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به أبو بكر بن أبى قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهى الفاجر ويصدق الكاذب إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظنى به ورجائى فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين.

﴿ تفسير سورة النمل وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ

يَعْمَهُونَ * أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ * وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾

قد تقدم الكلام فى سورة البقرة على الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وقوله تعالى (تلك آيات) أى هذه آيات (القرآن وكتاب مبين)أى بين واضح (هدى وبشرى للمؤمنين) أى إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه وعمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرها وشرها والجنة والنار كما قال تعالى(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) الآية وقال تعالى (لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) ولهذا قال تعالى ههنا (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى يكذبون بها ويستبعدون وقوعها (زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون) أى حسنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم فى غيهم فهم يتيهون فى ضلالهم وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) الآية (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أى فى الدنيا والآخرة (وهم فى الآخرة هم الأخسرون) أى ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر وقوله تعالى (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أى (وإنك)يا محمد (لتلقى) أى لتأخذ (القرآن من لدن حكيم عليم) أى من عند حكيم عليم أى حكيم فى أمره ونهيه عليم بالأمور جليلها وحقيرها ، فخبره هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مذكراً له ما كان من أمر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله وكلمه وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والأدلة القاهرة وابتعثه إلى فرعون وملئه فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له . فقال تعالى(إذ قال موسى لأهله) أى اذكر حين سار موسى بأهله فأضل الطريق وذلك فى ليل وظلام فآنس من جانب الطور ناراً أى رأى ناراً تأجج وتضطرم فقال (لأهله إنى آنست ناراً سآتيكم منها بخبر)أى عن الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون)أى تستدفئون به وكان كما قال . فانه رجع منها بخبر عظيم ، واقتبس منها نوراً عظيما ولهذا قال تعالى(فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها) أى فلما أتاها ورأى منظراً هائلا عظيما حيث انتهى إليها والنار تضطرم فى شجرة خضراء لا تزداد النار إلا توقداً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء قال ابن عباس وغيره لم تكن ناراً وإنما كانت نوراً يتوهج ، وفى رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوقف موسى متعجبا مما رأى (فنودى أن بورك من فى النار)

قال ابن عباس تقدس (ومن حولها) أى من الملائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وقال ابن أبى حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود هو الطيالسى حدثنا شعبة والسعودى عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » زاد السعودى « وحجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره » ثم قرأ أبو عبيدة (أن بورك من فى النار ومن حولها) وأصل الحديث مخرج فى صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة ، وقوله تعالى (وسبحان الله رب العالمين) أى الذى يفعل ما يشاء ولا يشبهه شىء من مخلوقاته ، ولا يحيط به شىء من مصنوعاته وهو العلى العظيم المباين لجميع المخلوقات ولا يكتنفه الأرض والسموات بل هو الأحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات

وقوله تعالى (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) أعلمه أن الذى يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذى عز كل شىء وقهره وغلبه الحكيم فى أقواله وأفعاله ، ثم أمره أن يلقى عصاه من يده ليظهر له دليلا واضحا على أنه الفاعل المختار القادر على كل شىء ، فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت فى الحال حية عظيمة هائلة فى غاية الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ولهذا قال تعالى (فلما رآها تهتز كأنها جان) والجان ضرب من الحيات أسرعه حركة وأكثره اضطرابا : وفى الحديث نهى عن قتل جنان البيوت فلما عاين موسى ذلك (ولى مدبراً ولم يعقب) أى لم يلتفت من شدة فرقه (يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون) أى لا تخف مما ترى فانى أريد أن أصطفيك رسولا وأجعلك نبيا وجيها . وقوله تعالى (إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل سىء ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب فان الله يتوب عليه كما قال تعالى (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) وقال تعالى (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه) الآية والآيات فى هذا كثيرة جداً . وقوله تعالى (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصدق من جعل له معجزة ، وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده فى جيب درعه فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قمر لها لمعان تتلألأ كالبرق الخاطف : وقوله تعالى (فى تسع آيات) أى هاتان ثنتان من تسع آيات أؤيدك بهن وأجعلهن برهانا لك إلى فرعون وقومه (إنهم كانوا قوما فاسقين) وهذه هى الآيات التسع التى قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) كما تقدم تقرير ذلك هنالك ، وقوله تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أى بينة واضحة ظاهرة (قالوا هذا سحر مبين) وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين (وجحدوا بها) أى فى ظاهر أمرهم (واستيقنتها أنفسهم) أى علموا فى أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها (ظلما وعلواً) أى ظلما من أنفسهم سجية ملعونة وعلواً أى استكباراً عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أى انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم فى اهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم فى صبيحة واحدة وفحوى الخطاب يقول احذروا أيها المكذبون لمحمد الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى فان محمداً ﷺ أشرف وأعظم من موسى ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده فى نفسه وشمائله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ المواثيق له ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا

النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجميلة وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة والملك والتمكين التام فى الدنيا والنبوة والرسالة فى الدين ولهذا قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) قال ابن أبي حاتم ذكر عن إبراهيم بن يحيى بن هشام أخبرنى أبى عن جدى قال : كتب عمر بن عبد العزيز : إن الله لم ينعم على عبده نعمة فيحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه لو كنت لا تعرف ذلك إلا فى كتاب الله المنزل . قال الله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) فأى نعمة أفضل مما أوتى داود وسليمان عليهما السلام وقوله تعالى (وورث سليمان داود) أى فى الملك والنبوة وليس المراد وراثة المال إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود فانه قد كان لداود مائة امرأة ، ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة فان الأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فى قوله « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة » وقال (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء) أى أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير ، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً وهذا شىء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله ، ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بنى آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس فهو قول بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ويعرف ما تقول وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال . ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور فى الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى (علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء) أى مما يحتاج إليه الملك (إن هذا لهو الفضل المبين) أى الظاهر البين لله علينا ، قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبى عمرو عن المطلب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع — قال — فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب فأقبلت امرأة تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن فى البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود فجاء داود عليه السلام فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت؟ فقال الذى لا يهاب الملوك ولا يمتنع من الحجاب فقال داود أنت إذاً والله ملك الموت مرحباً بأمر الله فتزمل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان عليه السلام للطير أظلى داود فظللت عليه الطير حتى أظلمت عليه الأرض ، فقال لها سليمان اقبضى جناحا جناحا» قال أبو هريرة يا رسول الله كيف فعلت الطير ؟ فقبض رسول الله ﷺ يده وغلبت عليه يومئذ المضرحية . قال أبو الفرج ابن الجوزى : المضرحية هى النسور الحمراء . وقوله تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) أى وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعنى ركب فيهم فى أبهة وعظمة كبيرة فى الإنس وكانوا هم الذين يلونه والجن وهم بعدهم فى المنزلة والطير ومنزلتها فوق رأسه ، فان كان حر أظلته منه بأجنحتها . وقوله (فهم يوزعون) أى يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التى هى مرتبة له ، قال مجاهد جعل على كل صنف وزعة يردون أولاها على أخراها لئلا يتقدموا فى المسير كما يفعل الملوك اليوم . وقوله

(حتى إذا أتوا على وادى النمل) أى حتى إذا مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وادى النمل (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أورد ابن عساكر من طريق إسحق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن أن اسم هذه النملة حرس وأنها من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان وأنها كانت عرجاء وكانت بقدر الذئب. أى خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحاً ترضاه) أى ألهمنى أن أشكر نعمتك التى مننت بها على من تعليمى منطق الطير والحيوان وعلى والدى بالاسلام لك، والإيمان بك (وأن أعمل صالحاً ترضاه) أى عملا تحبه وترضاه (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) أى إذا توفيتنى فألحقنى بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك، ومن قال من المفسرين إن هذا الوادى كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها. وعن نوف البكالى أنه قال كان نمل سليمان أمثال الذئاب، هكذا رأيته مضبوطا بالياء المثناة من تحت وإنما هو بالباء الموحدة وذلك تصحيف والله أعلم. والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكا من ذلك وهذا أمر عظيم جداً. وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا مسعر عن زيد العمى عن أبى الصديق الناجى قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقى فاذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهى تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن سقياك وإلا تسقنا تهلكنا. فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم. وقد ثبت فى الصحيح عند مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال «قرصت نبيا من الأنبياء نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه، أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح؟ فهلا نملة واحدة؟»

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره: كان الهدهد مهندسا يدل سليمان عليه السلام على الماء إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء فى تخوم الأرض كما يرى الانسان الشىء الظاهر على وجه الأرض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض فاذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره، فنزل سليمان عليه السلام يوماً بفلاة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم يره (فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) حدث يوما عبد الله بن عباس بنحو هذا وفى القوم رجل من الخوارج يقال له نافع ابن الأزرق وكان كثير الاعتراض على ابن عباس فقال له قف يا ابن عباس غلبت اليوم، قال ولم؟ قال إنك تخبر عن الهدهد أنه يرى الماء فى تخوم الأرض، وإن الصبى ليضع له الحبة فى الفخ ويحثو على الفخ ترابا فيجىء الهدهد ليأخذها فيقع فى الفخ فيصيده الصبى فقال ابن عباس، لولا أن يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أجبته ثم قال له ويحك إنه إذا نزل القدر عمى البصر وذهب الحذر، فقال له نافع: والله لا أجادلك فى شىء من القرآن أبداً وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبى عبد الله البرزى من أهل برزة من غوطة دمشق وكان من الصالحين يصوم الاثنين والخميس وكان أعور قد بلغ الثمانين فروى ابن عساكر بسنده إلى أبى سليمان بن زيد أنه سأله عن سبب عوره فامتنع عليه فألح عليه شهوراً فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة فى قرية برزة وسألاه عن وادبها فأريتهما إياه فأخرجا مجامر وأوقدا فيها بخوراً كثيراً حتى عجج الوادى بالدخان، فأخذا يعزمان والحيات تقبل من كل مكان إليهما فلا يلتفتان إلى شىء منها، حتى أقبلت حية نحو الذراع وعيناها تتوقدان مثل الدينار، فاستبشرا

بها عظيما وقالا الحمد لله الذى لم يخيب سفرنا من سنة وكسرا المجامر وأخذا الحية فأدخلا فى عينها ميلا فاكتحلا به ، فسألتهما أن يكحلانى فأبيا فألحت عليهما وقلت لابد من ذلك وتوعدتهما بالدولة فكحلا عينى الواحدة اليمنى فحين وقع فى عينى نظرت إلى الأرض تحتى مثل المرآة أنظر ماتحتها كما ترى المرآة ثم قالالى : سر معنا قليلا فسرت معهما وهما يحدثان حتى إذا بعدت عن القرية أخذانى فكتفانى وأدخل أحدهما يده فى عينى ففقأها ورمى بها ومضيا ، فلم أزل كذلك ملقى مكتوفاً حتى مر بى نفر ففك وثاقى ، فهذا ماكان من خبر عينى وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو الغسانى حدثنا عباد بن ميسرة المنقرى عن الحسن قال : اسم هدهد سليمان عليه السلام عنبر . وقال محمد بن إسحق : كان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذى كان يجلس فيه تفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضره إلا الهدهد (فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين) أخطأه بصرى من الطير أم غاب فلم يحضر؟ وقوله (لأعذبنه عذاباً شديداً) قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد عن ابن عباس يعنى نتف ريشه ، وقال عبد الله ابن شداد نتف ريشه وتشميسه وكذا قال غير واحد من السلف إنه نتف ريشه وتركه ملقى يأكله الذر والنمل . وقوله (أو لأذبحنه) يعنى قتله (أو ليأتينى بسلطان مبين) بعذر بين واضح ، وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد : لما قدم الهدهد قالت له الطير ما خلفك فقد نذر سليمان دمك ، فقال هل استثنى ؟ قالوا نعم قال (لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين) قال نجوت إذاً . قال مجاهد إنما دفع الله عنه بره بأمه

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّى وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى (فمكث) الهدهد (غير بعيد) أى غاب زماناً يسيرا ثم جاء فقال لسليمان (أحطت بما لم تحط به) أى اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) أى بخبر صدق حق يقين ، وسبأ هم حمير وهم ملوك اليمن ، ثم قال (إنى وجدت امرأة تملكهم) قال الحسن البصرى وهى بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ ، وقال قتادة : كانت أمها جنية وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة ، وقال زهير بن محمد : هى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية؛ وقال ابن جريج بلقيس بنت ذى شرخ وأمها بلتعة وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسن حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان مائة ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل ، وقال الأعمش عن مجاهد: كان تحت يدى ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل ، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة فى قوله تعالى (إنى وجدت امرأة تملكهم) كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بأرض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء ، وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة اليمن والله أعلم وقوله (وأوتيت من كل شىء) أى من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك التمكن (ولها عرش عظيم) يعنى سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلىء . قال زهير بن محمد كان من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والزبرجد ؛ طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً ؛ وقال محمد ابن إسحق: كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ وكان إنما يخدمها النساء ولها ستمائة امرأة تلى الخدمة، قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير فى قصر عظيم مشيد رفيع البناء

محكم وكان فيه ثلثمائة وستون طاقه من مشرقه ومثلها من مغربه ، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباحاً ومساء ولهذا قال (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أى عن طريق الحق (فهم لا يهتدون) وقوله (ألا يسجدوا لله) معناه (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله) أى لا يعرفون سبيل الحق التى هى إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) وقرأ بعض القراء (ألا يا اسجدوا لله) جعلها ألا الاستفتاحية ويا للنداء ، وحذف المنادى تقديره عنده ألا يا قوم اسجدوا لله ، وقوله (الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيئة فى السماء والأرض ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد . وقال سعيد بن المسيب: الخبء الماء وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والأرض ما جعل فيهما من الأرزاق . المطر من السماء والنبات من الأرض . وهذا مناسب من كلام الهدهد الذى جعل الله فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجرى فى تخوم الأرض وداخلها وقوله (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) أى يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال ، وهذا كقوله تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وقوله (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أى هو المدعو الله وهو الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم : الذى ليس فى المخلوقات أعظم منه . ولما كان الهدهد داعيا إلى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له نهى عن قتله كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال نهى النبى ﷺ عن قتل أربع من الدواب : النملة والنحلة والهدهد والصرد ، وإسناده صحيح.

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قيل سليمان للهدهد حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) أى أصدقت فى إخبارك هذا (أم كنت من الكاذبين) فى مقالتك لتتخلص من الوعيد الذى أوعدتك ؟ (اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتابا إلى بلقيس وقومها . وأعطاه ذلك الهدهد فحمله .قيل فى جناحه كما هى عادة الطير ، وقيل بمنقاره ، وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلوة التى كانت تختلى فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها ثم تولى ناحية أدبا ورياسة فتحيرت مما رأت وهالها ذلك ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته فإذا فيه (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا على وأتونى مسلمين) فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها ثم قالت لهم (يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم) تعنى بكرمه ما رأته من عجيب أمره كون طائر ذهب به فألقاه إليها ثم تولى عنها أدبا وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ولا سبيل لهم إلى ذلك ثم قرأته عليهم (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا على وأتونى مسلمين) فعرفوا أنه من نبى الله سليمان عليه السلام ، وأنه لا قبل لهم به وهذا الكتاب فى غاية البلاغة والوجازة والفصاحة فانه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها . قال العلماء لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام . وقد روى ابن أبى حاتم فى ذلك حديثاً فى تفسيره حيث قال : حدثنا أبى حدثنا هارون بن الفضل أبو يعلى الحياط حدثنا أبو يوسف عن سلمة بن صالح عن عبد الكريم أبى أمية عن

ابن بريدة عن أبيه قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ فقال « إنى أعلم آية لم تنزل على نبى قبلى بعد سليمان بن داود » قلت يا نبى الله أى آية ؟ قال « سأعلمكها قبل أن أخرج من المسجد » قال فانتهى إلى الباب فأخرج إحدى قدميه فقلت نسى ثم التفت إلى وقال « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » هذا حديث غريب وإسناده ضعيف . وقال ميمون بن مهران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية . فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) . وقوله (أن لا تعلوا على) قال قتادة يقول لا تجبروا على (وأتونى مسلمين) وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم لا تمتنعوا ولا تتكبروا على وأتونى مسلمين . قال ابن عباس موحدين ، وقال غيره مخلصين ، وقال سفيان بن عيينة : طائعين .

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم فى أمرها وما قد نزل بها ولهذا قالت (يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) أى حتى تحضرون وتشيرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أى منوا إليها بعددهم وعددهم وقوتهم ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا :(والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين) أى نحن ليس لنا عاقة ولا بنا بأس إن شئت أن تقصديه وتحاربيه فما لنا عاقة عنه . وبعد هذا فالأمر إليك مرى فينا رأيك نمتثله ونطيعه . قال الحسن البصرى رحمه الله:فوضوا أمرهم إلى علجة تضطرب ثدياها ، فلما قالوا لها ما قالوا كانت هى أحزم رأياً منهم وأعلم بأمر سليمان . وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه وما سخر له من الجن والإنس والطير . وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمراً عجيباً بديعا فقالت لهم إنى أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص إلى وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا . ولهذا قالت (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) . قال ابن عباس أى إذا دخلوا بلداً عنوة أفسدوه أى خربوه (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أى وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهوان إما بالقتل أو بالأسر . قال ابن عباس قالت بلقيس (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) قال الرب عز وجل (وكذلك يفعلون) ثم عدلت إلى المصالحة والمهادنة والمسالمة والمخادعة والمصانعة فقالت (وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) أى سأبعث إليه بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فلعله يقبل ذلك منا ويكف عنا،أو يضرب علينا خراجا نحمله إليه فى كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا : قال قتادة رحمه الله ما كان أعقلها فى إسلامها وشركها ، علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس. وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبى فاتبعوه

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلىء وغير ذلك وقال بعضهم أرسلت بلبن من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب : قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما أرسلت جوارى فى زى الغلمان وغلمان فى زى الجوارى فقالت إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبى قالوا فأمرهم سليمان فتوضئوا فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء وجعل الغلام يغترف فميزهم بذلك . وقيل بل جعلت الجارية

تغسل باطن يدها قبل ظاهرها والغلام بالعكس ، وقيل بل جعلت الجوارى يغسلن من أكفهن إلى مرافقهن ، والغلمان من مرافقهم إلى كفوفهم ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم . وذكر بعضهم أنها أرسلت اليه بقدح ليملأه ماء رواء لامن السماء ولا من الأرض : فأجرى الخيل حتى عرقت ثم ملأه من ذلك ، وبخرزة وسلك ليجعله فيها ففعل ذلك والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات ، والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ماجاءوا به بالكلية ولااعتنى به بل أعرض عنه ، وقال منكراً عليهم (أتمدوننى بمال ؟) أى أتصانعوننى بمال لأتركم على شرككم وملككم ؟ (فما آتانى الله خير مما آتاكم) أى الذى أعطانى الله من الملك والمال والجنود خير مما أتتم فيه (بل أنتم بهديتكم تفرحون) أى أنتم الذين تتفادون للهدايا والتحف ، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الاسلام أوالسيف

قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه : أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة ، فلما رأت رسلها ذلك قالوا مايصنع هذا بهديتنا ، وفى هذا جواز تهيؤ الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد (ارجع إليهم) أى بهديتهم (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) أى لاطاقة لهم بقتالهم (ولنخرجنهم منها أذلة) أى ولنخرجنهم من بلدتهم أذلة (وهم صاغرون) أى مهانون مدحورون . فلما رجعت إليها رسلها بهديتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هى وقومها وأقبلت تسير اليه فى جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان ناوية متابعته فى الإسلام ، ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم عليه ووفودهم اليه فرح بذلك وسره

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾

قال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان قال : فلما رجعت اليها الرسل بما قال سليمان قالت: قد والله عرفت ماهذا بملك وما لنا به من طاقة ومانصنع بمكابرته شيئا ، وبعثت اليه إنى قادمة عليك بملوك قومى لأنظر ما أمرك وما تدعونا اليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها الذى كانت تجلس عليه . وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل فى سبعة أبيات بعضها فى بعض ثم أقفلت عليه الأبواب ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى فلا يخلص اليه أحد من عباد الله ، ولايرينه أحد حتى آتيك ثم شخصت إلى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يدى كل قيل ألوف كثيرة فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده فقال (يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) وقال قتادة لما بلغ سليمان أنها جائية وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه . وكان من ذهب وقوائمه لؤلؤ وجوهر . وكان مستترا بالديباج والحرير ، وكانت عليه تسعة مغاليق فكره أن يأخذه بعد إسلامهم . وقد علم نبى الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم ودماؤهم فقال (يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) وهكذا قال عطاء الخراسانى والسدى وزهير بن محمد (قبل أن يأتونى مسلمين) فتحرم على أموالهم بإسلامهم (قال عفريت من الجن) قال مجاهد أى مارد من الجن ، قال شعيب الجبائى وكان اسمه كوزن ، وكذا قال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان وكذا قال أيضا وهب بن منبه قال أبو صالح وكان كأنه جبل (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال ابن عباس رضى الله عنه يعنى قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد مقعدك ، وقال السدى وغيره كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس (وإنى عليه لقوى أمين) قال ابن عباس أى قوى على حمله أمين على

ما فيه من الجوهر ، فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من ذلك ، ومن ههنا يظهر أن سليمان أراد باحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذى لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعد ، وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لأن هذا خارق عظيم أن يأتى بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه ، هذا وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة . فلما قال سليمان أريد أعجل من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) قال ابن عباس وهو آصف كاتب سليمان ، وكذا روى محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان أنه آصف بن برخياء . وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم . وقال قتادة كان مؤمنا من الإنس واسمه آصف ، وكذا قال أبو صالح والضحاك وقتادة إنه كان من الإنس زاد قتادة من بنى إسرائيل . وقال مجاهد كان اسمه أسطوم ، وقال قتادة فى رواية عنه كان اسمه بليخا ، وقال زهير بن محمد هو رجل من الإنس يقال له ذوالنور . وزعم عبدالله بن لهيعة أنه الخضر وهو غريب جدا . وقوله (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) أى ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك ، وقال وهب بن منبه : امدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التى فيها هذا العرش المطلوب ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى . قال مجاهد قال ياذا الجلال والاكرام . وقال الزهرى قال : يا إلهنا وإله كل شىء إلها واحداً لا إله إلا أنت ائتنى بعرشها . قال فمثل بين يديه . قال مجاهد وسعيد ابن جبير ومحمد بن إسحق وزهير بن محمد وغيرهم : لما دعا الله تعالى وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس وكان فى اليمن وسليمان عليه السلام ببيت المقدس غاب السرير وغاص فى الأرض ثم نبع من بين يدى سليمان

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه قال وكان هذا الذى جاء به من عباد البحر فلما عاين سليمان وملؤه ذلك ورآه مستقراً عنده (قال هذا من فضل ربى) أى هذا من نعم الله على (ليبلونى) أى ليختبرنى (أ أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) كقوله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) وكقوله (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون) وقوله (ومن كفر فإن ربى غنى كريم) أى هو غنى عن العباد وعبادتهم كريم أى كريم فى نفسه وإن لم يعبده أحد فان عظمته ليست مفتقرة إلى أحد ، وهذا كما قال موسى (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد) وفى صحيح مسلم « يقول الله تعالى : ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا . ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم مانقص ذلك من ملكى شيئاً . ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »

﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

لما جىء سليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل قدومها أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس بعرشها فقال (نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) قال ابن عباس نزع منه فصوصه ومرافقه ، وقال مجاهد أمر به فغير ما كان فيه أحمر جعل أصفر وما كان أصفر جعل أحمر . وما كان أخضر جعل أحمر غير كل شىء عن حاله . وقال عكرمة زادوا فيه ونقصوا وقال قتادة جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه ونقصوا (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) أى عرض عليها عرشها وقد غير ونكر

وزيد فيه ونقص منه فكان فيها ثبات وعقل ، ولها لب ودهاء وحزم ، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وإن غير وبدل ونكر فقالت (كأنه هو) أى يشبهه ويقاربه . وهذا غاية فى الذكاء والحزم . وقوله (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) قال مجاهد يقوله سليمان ، وقوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين) هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام فى قول مجاهد وسعيد بن جبير رحمهما الله أى قال سليمان (أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وهى كانت قد صدها أى منعها من عبادة الله وحده (ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين) وهذا الذى قاله مجاهد وسعيد وحسن وقاله ابن جرير أيضا ، ثم قال ابن جرير ويحتمل أن يكون فى قوله (وصدها) ضمير يعود إلى سليمان أو إلى الله عز وجل تقديره ومنعها (ما كانت تعبد من دون الله) أى صدها عن عبادة غير الله (إنها كانت من قوم كافرين) ﴿ قلت ﴾ ويؤيد قول مجاهد أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح كما سيأتى . وقوله (قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصراً عظيما من قوارير أى من زجاج وأجرى تحته الماء فالذى لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشى وبينه . واختلفوا فى السبب الذى دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه فقيل انه لما عزم على تزوجها واصطفائها لنفسه ، ذكر له جمالها وحسنها ولكن فى ساقيها هلب عظيم ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة . فساءه ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا ؟ هكذا قول محمد بن كعب القرظى وغيره . فلما دخلت وكشفت عن ساقيها رأى أحسن الناس ساقاً وأحسنهم قدماً . ولكن رأى على رجليها شعراً لأنها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل له الموسى فقالت لا أستطيع ذلك . وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئا غير الموسى يذهب به هذا الشعر فصنعوا له النورة . وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظى والسدى وابن جريج وغيرهم . وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلى الصرح ليريها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لا تشك أنه ماء تخوضه فقيل لها إنه صرح ممرد من قوارير ، فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها فى عبادة الشمس من دون الله ، وقال الحسن البصرى : لما رأت العلجة الصرخ عرفت والله أن قد رأت ملكا أعظم من ملكها ، وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال : أمر سليمان بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس ثم قال لها ادخلى الصرح ليريها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) لا تشك أنه ماء تخوضه قيل لها (إنه صرح ممرد من قوارير) . فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله عز وجل وحده وعاتبها فى عبادتها الشمس من دون الله فقالت يقول الزنادقة فوقع سليمان ساجداً إعظاما لما قالت وسجد معه الناس فسقط فى يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قال ويحك ماذا قلت ؟ قالت أنسيت ما قلت ؟ فقالت (رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فأسلمت وحسن إسلامها . وقد روى الإمام أبو بكر بن أبى شيبة فى هذا أثراً غريباً عن ابن عباس فقال حدثنا الحسين بن على عن زائدة حدثنى عطاء بن السائب حدثنا مجاهد ونحن فى الأزد قال حدثنا ابن عباس قال : كان سليمان عليه السلام يجلس على سريره ثم توضع كراسى حوله فيجلس عليها الإنس ثم يجلس الجن ثم الشياطين ثم تأتى الريح فترفعهم ثم تظلهم الطير ثم يغدون قدر ما يشتهى الراكب أن ينزل شهراً ورواحها شهراً ، قال فبينما هو ذات يوم فى مسير له إذ تفقد الطير ففقد الهدهد فقال (مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين) قال وكان عذابه إياه أن ينتفه ثم يلقيه فى الأرض فلا يمتنع من نملة ولا من شىء من هوام الأرض قال عطاء وذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد (فمكث غير بعيد — فقرأ حتى انتهى إلى قوله — سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابى هذا) وكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى بلقيس (أن لا تعلوا

علىّ وائتونى مسلمين) فلما ألقى الهدهد الكتاب اليها ألقى فى روعها انه كتاب كريم وانه من سليمان وأن لاتعلوا على وائتونى مسلمين قالوا نحن أولوا قوة قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاءت الهدية سليمان قال أتمدوننى بمال ارجع اليهم فلما نظر إلى الغبار أخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكة سبأ ومن معها حين نظر إلى الغبار كما بيننا وبين الحيرة ، قال عطاء ومجاهد حينئذ فى الأزد . قال سليمان أيكم يأتينى بعرشها ؟ قال وبين عرشها وبين سليمان حين نظر إلى الغبار مسيرة شهرين (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال وكان لسليمان مجلس يجلس فيه للناس كما يجلس الأمراء ثم يقوم . فقال (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال سليمان أريد أعجل من ذلك ، فقال الذى عنده علم من الكتاب أنا أنظر فى كتاب ربى ثم آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال فنظر إليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره فنبع عرشها من تحت قدم سليمان من تحت كرسى كان سليمان يضع عليه رجله ثم يصعد إلى السرير ، قال فلما رأى سليمان عرشها قال (هذا من فضل ربى) الآية (قال نكروا لها عرشها) فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو . قال فسألته حين جاءته عن أمرين قالت لسليمان أريد ماء ليس من أرض ولا سماء . وكان سليمان إذا سئل عن شىء سأل الإنس ثم الجن ثم الشياطين قال: فقالت الشياطين هذا هين أجر الخيل ثم خذ عرقها ثم املأ منه الآنية . قال فأمر بالخيل فأجريت ثم أخذ عرقها فملأ منه الآنية ، قال وسألت عن لون الله عز وجل . قال فوثب سليمان عن سريره فخر ساجداً فقال يارب لقد سألتنى عن أمر إنه ليتعاظم فى قلبى أن أذكره لك ، فقال ارجع فقد كفيتكهم قال فرجع إلى سريره قال ما سألت عنه ؟ قالت ماسألتك إلا عن الماء فقال لجنوده ماسألت عنه ؟ فقالوا ماسألتك إلا عن الماء ، قال ونسوه كلهم . قال وقالت الشياطين إن سليمان يريد أن يتخذها لنفسه فإن اتخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد لم ننفك من عبوديته ، قال فجعلوا صرحاً ممرداً من قوارير فيه السمك قال فقيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فاذا هى شعراء . فقال سليمان هذا قبيح فما يذهبه ؟ قالوا يذهبه الموسى فقال أثر الموسى قبيح قال فجعلت الشياطين النورة . قال فهو أول من جعلت له النورة ، ثم قال أبو بكر بن أبى شيبة ما أحسنه من حديث ﴿ قلت ﴾ بل هو منكر غريب جداً ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم . والأقرب فى مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد فى صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان ومالم يكن ومما حرف وبدل ونسخ . وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة . أصل الصرح فى كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع ، قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن فرعون لعنه الله أنه قال لوزيره هامان (ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب) الآية . والصرح قصر فى اليمن عالى البناء ، والممرد المبنى بناء محكما أملس (من قوارير) أى زجاج ، وتمريد البناء تمليسه ، ومارد : حصن بدومة الجندل . والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصراً عظيما منيفاً من زجاج لهذه الملكة ليريها عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ماهو فيه وتبصرت فى أمره انقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبى كريم ، وملك عظيم ، وأسلمت لله عز وجل وقالت (رب إنى ظلمت نفسى) أى بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى متابعة لدين سليمان فى عبادته لله وحده لاشريك له الذى خلق كل شىء فقدره تقديراً .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾

يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام حين بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له (فإذا هم فريقان يختصمون) قال مجاهد : مؤمن وكافر كقوله تعالى (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون) (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أى لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته ولهذا قال (لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك) أى ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرا ، وذلك أنهم لشقائهم كان لا يصيب أحدا منهم سوء إلا قال هذا من قبل صالح وأصحابه قال مجاهد تشاءموا بهم وهذا كما قال الله تعالى إخبارا عن قوم فرعون (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) الآية وقال تعالى (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك * قل كل من عند الله) أى بقضائه وقدره ، وقال تعالى مخبرا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون (قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) الآية وقال هؤلاء (اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله) أى الله يجازيكم على ذلك (بل أنتم قوم تفتنون) قال قتادة تبتلون بالطاعة والمعصية. والظاهر أن المراد بقوله (تفتنون) أى تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورءوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة وهموا بقتل صالح أيضاً بأن يبيتوه فى أهله ليلا فيقتلوه غيلة ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه إنهم ماعلموا بشىء من أمره وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به من أنهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى (وكان فى المدينة) أى مدينة ثمود (تسعة رهط) أى تسعة نفر (يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود لأنهم كانوا كبراءهم ورؤساءهم قال العوفى عن ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أى الذين صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم قبحهم الله ولعنهم وقد فعل ذلك وقال السدى عن أبى مالك عن ابن عباس: كان أسماء هؤلاء التسعة دعمى ودعيم وهرما وهريم وداب وصواب ورياب ومسطح وقدار بن سالف عاقر الناقة أى الذى باشر ذلك بيده ، قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) وقال تعالى (إذ انبعث أشقاها) وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر بن ربيعة الصنعانى سمعت عطاء ـ هو ابن أبى رباح ـ يقول(وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) قال كانوا يقرضون الدراهم يعنى أنهم كانوا يأخذون منها وكأنهم كانوا يتعاملون بها عددا كما كان العرب يتعاملون . وقال الإمام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال قطع الذهب والورق من الفساد فى الأرض ، وفى الحديث الذى رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة كان من صفاتهم الافساد فى الأرض بكل طريق يقدرون عليها فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة وغير ذلك . وقوله تعالى (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) أى تحالفوا وتبايعوا على قتل نبى الله صالح عليه السلام من لقيه ليلا غيلة ،فكادهم الله وجعل الدائرة عليهم ، قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين ، وقال قتادة تواثقوا على أن يأخذوه ليلا فيقتلوه ، وذكر لنا أنهم بينما هم معانيق إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأهدتهم ، قال

العوفى عن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة قالوا: حين عقروها لنبيتن صالحا وأهله فنقتلهم ثم نقول لأولياء صالح ما شهدنا من هذا شيئا وما لنا به من علم فدمرهم الله أجمعين. وقال محمد بن إسحق قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا الصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم فى ثلاث فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا ، وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم : لما عقروا الناقة قال لهم صالح (تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث وكان لصالح مسجد فى الحجر عند شعب هناك يصلى فيه فخرجوا إلى كهف أى غار هناك ليلا فقالوا إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ففرغنا منهم فبعث الله عليهم صخرة من الهضب حيالهم فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم فى ذلك الغار فلا يدرى قومهم أين هم ،ولا يدرون مافعل بقومهم : فعذب الله هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه ثم قرأ (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية) أى فارغة ليس فيها أحد (بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون)

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه أنذر قومه نقمة الله بهم فى فعلهم الفاحشة التى لم يسبقهم إليها أحد من بنى آدم وهى إتيان الذكور دون الإناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) أى يرى بعضكم بعضا وتأتون فى ناديكم المنكر (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) أى لا تعرفون شيئا لا طبعا ولا شرعا كما قال فى الآية الأخرى (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) أى يتحرجون من فعل ما تفعلونه ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فانهم لا يصلحون لمجاورتكم فى بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، قال الله تعالى (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) أى من الهالكين مع قومها لأنها كانت ردءا لهم على دينهم وعلى طريقتهم فى رضاها بأفعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا إليهم لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبى الله ﷺ لا كرامة لها وقوله تعالى (وأمطرنا عليهم مطرا) أى حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد ولهذا قال (فساء مطر المنذرين) أى الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الانذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول (الحمد لله) أى على نعمه على عباده من النعم التى لاتعد ولا تحصى وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى ، وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبياؤه الكرام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفى ، هم الأنبياء قال وهو كقوله (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) : وقال الثورى والسدى هم أصحاب محمد ﷺ ورضى عنهم أجمعين وروى نحوه عن ابن عباس أيضاً ولا منافاة فانهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى . والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ذكره لهم مافعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزى والنكال والقهر ، أن يحمدوه على جميع أفعاله ، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار . وقد قال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح حدثنا طلق بن غنام حدثنا الحكم بن ظهير عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس (وسلام على عباده الذين اصطفى) قال هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه رضى الله عنهم وقوله تعالى (آلله خير أمما يشركون) استفهام إنكار على المشركين فى عبادتهم مع الله آلهة أخرى . ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى (أمن خلق السموات) أى خلق تلك السموات فى ارتفاعها وصفائها . وماجعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة . وخلق الأرض فى استفالها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والأطواد والسهول والأوعار ، والفيافى والقفار ، والزروع والأشجار ، والثمار والبحار ، والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك . وقوله تعالى (وأنزل لكم من السماء ماء) أى جعله رزقاً للعباد (فأنبتنا به حدائق) أى بساتين (ذات بهجة) أى منظر حسن وشكل بهى (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أى لم تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها . وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المتفرد به دون مما سواه من الأصنام والأنداد كما يعترف به هؤلاء المشركون كما قال تعالى فى الآية الأخرى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) أى هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لاشريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لايخلق ولا يرزق ، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة ، من هو المنفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى (أإله مع الله ؟) أى أإله مع الله يعبد ، وقد تبين لكم ولكل ذى لب مما يعترفون به أيضاً أنه الخالق الرازق . ومن المفسرين من يقول معنى قوله (أإله مع الله) فعل هذا وهو يرجع إلى معنى الأول لأن تقدير الجواب أنهم يقولون ليس ثم أحد فعل هذا معه بل هو المتفرد به فيقال فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ؟ كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) الآية . وقوله تعالى ههنا (أمن خلق السموات والأرض) (أمن) فى هذه الآيات كلها تقديره أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شىء منها ؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر لأن فى قوة الكلام مايرشد إلى ذلك . وقد قال الله تعالى (آلله خير أمما يشركون) ثم قال فى الآية الأخرى (بل هم قوم يعدلون) أى أى يجعلون لله عدلا ونظيراً . وهكذا قال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أى أمن هو هكذا كمن ليس كذلك ؟ ولهذا قال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولو الألباب) (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين) وقال تعالى (أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى أمن هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم يعلم الغيب جليله وحقيره كمن هو لايعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التى عبدوها من دون الله ؟ ولهذا قال (وجعلوا لله شركاء قل سموهم) وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها .

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى (أمن جعل الأرض قراراً) أى قارة ساكنة ثابتة لاتميد ولاتتحرك بأهلها ولا ترجف بهم فانها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة لاتتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى فى الآية الأخرى (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء) (وجعل خلالها أنهارا) أى جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة شقها فى خلالها وصرفها فيها مابين أنهار كبار وصغار وبين ذلك ، وسيرها شرقاً وغرباً وجنوبا وشمالا بحسب مصالح عباده فى أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم فى أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب مايحتاجون اليه (وجعل لها رواسى) أى جبالا شامخة ترسى الأرض وتثبتها لئلا تميد بكم (وجعل بين البحرين حاجزا) أى جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزا أى مانعا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا فان الحكمة الإلهية تقتضى بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه فان البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس والمقصود منها أن تكون عذبة زلالا يسقى الحيوان والنبات والثمار منها . والبحار المالحة هى المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحاً أجاجاً لئلا يفسد الهواء بريحها كما قال تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) ولهذا قال تعالى (أ إله مع الله ؟) أى فعل هذا أو يعبد على القول الأول والآخر ؟ وكلاهما متلازم صحيح (بل أكثرهم لايعلمون) أى فى عبادتهم غيره .

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد ، المرجو عند النوازل كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه) وقال تعالى (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) وهكذا قال ههنا (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) أى من هو الذى لايلجأ المضطر إلا اليه ، والذى لا يكشف ضر المضرورين سواه . قال الإمام أحمد أنبأنا عفان أنبأنا وهيب أنبأنا خالد الحذاء عن أبى تميمة الهجيمى عن رجل من بلهجيم قال: قلت يارسول الله إلام تدعو ؟ قال « أدعو إلى الله وحده الذى إن مسك ضر فدعوته كشف عنك ، والذى إن أضللت بأرض قفر فدعوته ردعليك ، والذى إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك » قال: قلت أوصنى ،قال « لاتسبن أحدا ولاتزهدن فى المعروف ،ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط اليه وجهك ،ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى ، واتزر إلى نصف الساق فان أبيت فالى الكعبين . وإياك وإسبال الازار فان إسبال الازار من المخيلة وإن الله لايحب المخيلة » وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابى فقال : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس هو ابن عبيد حدثنا عبيدة الهجيمى عن أبيه عن أبى تميمة الهجيمى عن جابر بن سليم الهجيمى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محتب بشملة وقد وقع هدبها على قدميه فقلت: أيكم محمد رسول الله ؟ فأومأ بيده إلى نفسه ، فقلت يارسول الله أنا من أهل البادية وفى جفاؤهم فأوصنى قال « لاتحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلاتشتمه بما تعلم فيه فانه يكون لك أجره وعليه وزره ، وإياك وإسبال الازار فان إسبال الازار من المخيلة وإن الله لايحب المخيلة ، ولاتسبن أحدا » قال فما سببت بعده أحدا ولاشاة ولابعيرا . وقد روى أبو داود والنسائى لهذا الحديث طرقا وعندها طرف صالح منه . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن هشام حدثنا عبدة ابن نوح عن عمر بن الحجاج عن عبيدالله بن أبى صالح قال : دخل على طاوس يعودنى فقلت له: ادع الله لى يا أبا عبد الرحمن فقال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر إذا دعاه ، وقال وهب بن منبه قرأت فى الكتاب الأول إن الله تعالى يقول : بعزتى إنه من اعتصم بى فإن كادته السموات بمن فيهن والأرض بمن فيهن فانى أجعل له من بين ذلك مخرجاً

ومن لم يعتصم بى فإنى أخسف به من تحت قدميه الأرض فأجعله فى الهواء فأكله إلى نفسه وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالدقى الصوفى قال هذا الرجل كنت أكارى على بغل لى من دمشق إلى بلد الزبدانى فركب معى ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لى خذ فى هذه فانها أقرب فقلت لا خيرة لى فيها ، فقال بل هى أقرب فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لى أمسك رأس البغل حتى أنزل فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكينا معه وقصدنى ففررت من بين يديه وتبعنى فناشدته الله وقلت خذ البغل بما عليه فقال هو لى وإنما أريد قتلك فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل فاستسلمت بين يديه وقلت إن رأيت أن تتركنى حتى أصلى ركعتين فقال :عجل فقمت أصلى فأرتج على القرآن فلم يحضرنى منه حرف واحد فبقيت واقفا متحيرا وهو يقول هيه افرغ فأجرى الله على لسانى قوله تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادى وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صريعا فتعلقت بالفارس وقلت بالله من أنت ؟ فقال أنا رسول الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال فأخذت البغل والحمل ورجعت سالما . وذكر فى ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجلية قالت : هزم الكفار يوما المسلمين فى غزاة فوقف جواد جيد بصاحبه وكان من ذوى اليسار ومن الصلحاء فقال للجواد مالك ويلك إنما كنت أعدك لمثل هذا اليوم فقال له الجواد ومالى لا أقصر وأنت تكل العلوفة إلى السواس فيظلمونى ولا يطعمونى إلا القليل ؟ فقال لك على عهد الله أنى لا أعلفك بعد هذا اليوم إلا فى حجرى فجرى الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا فى حجره ، واشتهر أمره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك وبلغ ملك الروم أمره فقال : ما تضام بلدة يكون هذا الرجل فيها. واحتال ليحصله فى بلده فبعث إليه رجلا من المرتدين عنده فلما انتهى إليه أظهر له أنه قد حسنت نيته فى الإسلام وقومه حتى استوثق ثم خرجا يوما يمشيان على جنب الساحل وقد واعد شخصا آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا على أسره فلما اكتنفاه ليأخذاه رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم إنه إنما خدعنى بك فاكفنيهما بما شئت . قال فخرج سبعان فأخذاهما ورجع الرجل سالما . وقوله تعالى (ويجعلكم خلفاء الأرض) اى يخلف قرنا لقرن قبلهم وخلفا لسلف كما قال تعالى (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) وقال تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) وقال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) أى قوما يخلف بعضهم بعضا كما قدمنا تقريره وهكذا هذه الآية (ويجعلكم خلفاء الأرض) أى أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل وقوما بعد قوم ولو شاء لأوجدهم كلهم فى وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحدا حتى تكون وفاة الجميع فى وقت واحد لكانت تضيق عنهم الأرض وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة ويذرأهم فى الأرض ويجعلهم قرونا بعد قرون وأمما بعد أمم حتى ينقضى الأجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدهم عدا ثم يقيم القيامة ويوفى كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله) أى يقدر على ذلك أو أإله مع الله بعد هذا ! وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له ؟ (قليلا ما تذكرون) أى ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) أى بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية كما قال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) وقال تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) الآية (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) أى بين يدى السحاب الذى فيه مطر يغيث الله به عباده المجدبين الأزلين القنطين (أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون)

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

أى هو الذى بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى فى الآية الأخرى (إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد) وقال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (ومن يرزقكم من السماء والأرض) أى بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الأرض كما قال تعالى (والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع) وقال تعالى (يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركا فيسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والأزاهير وغير ذلك من ألوان شتى (كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) ولهذا قال تعالى (أإله مع الله) أى فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا (قل هاتوا برهانكم) على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى (إن كنتم صادقين) فى ذلك وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان كما قال تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون)

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول معلما لجميع الخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله . وقوله تعالى (إلا الله) استثناء منقطع أى لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل فانه المنفرد بذلك وحده لا شريك له كما قال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) الآية وقال تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) إلى آخر السورة ، والآيات فى هذا كثيرة ، وقوله تعالى (وما يشعرون أيان يبعثون) أى وما يشعر الخلائق الساكنون فى السموات والأرض بوقت الساعة كما قال تعالى (ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة) أى ثقل علمها على أهل السموات والأرض . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن الجعد حدثنا أبو جعفر الرازى عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : من زعم أنه يعلم — يعنى النبى صلى الله عليه وسلم — ما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية لأن الله تعالى يقول (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) وقال قتادة إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به . وإن أناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة ، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمرى ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم ، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشىء من الغيب ، وقضى الله تعالى أنه لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون . رواه ابن أبى حاتم عنه بحروفه

وهو كلام جليل متين صحيح وقوله (بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها) أى انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وقرأ آخرون (بل أدرك علمهم) أى تساوى علمهم فى ذلك كما فى الصحيح لمسلم أن رسول الله ﷺ قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » أى تساوى فى العجز عن درك ذلك علم المسئول والسائل ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (بل ادارك علمهم فى الآخرة) أى غاب ، وقال قتادة (بل ادارك علمهم فى الآخرة) يعنى بجهلهم بربهم، يقول لم ينفذ لهم علم فى الآخرة . هذا قول ، وقال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس (بل ادارك علمهم فى الآخرة) حين لم ينفع العلم ، وبه قال عطاء الخراسانى والسدى أن علمهم إنما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كما قال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) وقال سفيان عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقرأ (بل أدرك علمهم) قال اضمحل علمهم فى الدنيا حين عاينوا الآخرة وقوله تعالى (بل هم فى شك منها) عائد على الجنس والمراد الكافرون كما قال تعالى (وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) أى الكافرون منكم وهكذا قال ههنا (بل هم فى شك منها) أى شاكون فى وجودها ووقوعها (بل هم منها عمون) أى فى عماية وجهل كبير فى أمرها وشأنها

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ أَءِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ * وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن منكرى البعث من المشركين أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظاما ورفاتا وترابا ثم قال (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) أى ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا ولا نرى له حقيقة ولا وقوعاً ،وقولهم (إن هذا إلا أساطير الأولين) يعنون ما هذا الوعد باعادة الأبدان (إلا أساطير الأولين) أى أخذه قوم عمن قبلهم من كتب يتلقاه بعض عن بعض وليس له حقيقة، قال الله تعالى مجيباً لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد (قل) يا محمد لهؤلاء (سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى المكذبين بالرسل وبما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم نقمة الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته ، ثم قال تعالى مسلياً لنبيه ﷺ (ولا تحزن عليهم) أى المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات (ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) أى فى كيدك ورد ما جئت به فان الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك على من خالفه وعانده فى المشارق والمغارب

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فى سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ؟) قال الله تعالى مجيباً لهم (قل) يا محمد (عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون) قال ابن عباس أن يكون قرب أو أن يقرب لكم بعض الذى تستعجلون ، وهكذا قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراسانى وقتادة

والسدى وهذا هو المراد بقوله تعالى (ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا) وقال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) وإنما دخلت اللام فى قوله (ردف لكم) لأنه ضمن معنى عجل لكم كما قال مجاهد فى رواية عنه (عسى أن يكون ردف لكم) عجل لكم

ثم قال الله تعالى (وإن ربك لذو فضل على الناس) أى فى إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم (وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به (يعلم السر وأخفى) (ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو ماغاب عن العباد وما شاهدوه فقال تعالى (وما من غائبة) قال ابن عباس يعنى ومامن شىء (فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين) وهذه كقوله (ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير)

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ * إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان أنه يقص على بنى إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كاختلافهم فى عيسى وتباينهم فيه فاليهود افتروا والنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام ، عليه أفضل الصلاة والسلام، كما قال تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) وقوله (وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) أى هدى لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم فى العمليات . ثم قال تعالى (إن ربك يقضى بينهم) أى يوم القيامة (بحكمه وهو العزيز) أى فى انتقامه (العليم) بأفعال عباده وأقوالهم (فتوكل على الله) أى فى جميع أمورك وبلغ رسالة ربك (إنك على الحق المبين) أى أنت على الحق المبين وإن خالفك من خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ، ولهذا قال تعالى (إنك لا تسمع الموتى) أى لا تسمعهم شيئاً ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفى آذانهم وقر الكفر ولهذا قال تعالى (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين * وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم * إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أى إنما يستجيب لك من هو سميع بصير السمع والبصر النافع فى القلب والبصيرة الخاضع لله ولما جاء عنه على ألسنة الرسل عليهم السلام

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾

هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها كما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى فتكلم الناس على ذلك، قال ابن عباس والحسن وقتادة ويروى عن على رضى الله عنه تكلمهم كلاما أى تخاطبهم مخاطبة وقال عطاء الخراسانى تكلمهم فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. ويروى هذا عن على واختاره ابن جرير وفى هذا القول نظر لا يخفى والله أعلم . وقال ابن عباس فى رواية تجرحهم ، وعنه رواية قال. كلا تفعل يعنى هذا وهذا وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم ، وقد ورد فى ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة فلنذكر منها ما تيسر والله المستعان . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن

قرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال « لاتقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة مرفوعاً ، وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه مسلم أيضا من حديث عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عنه موقوفا فالله أعلم ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجرير بن حازم ، فأما طلحة فقال أخبرني عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثي أن أبا الطفيل حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي سريحة ، وأما جرير فقال عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود . وحديث طلحة أتم وأحسن قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال « لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرجة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية — يعني مكة — ثم تكمن زمنا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية » يعني مكة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم بينا الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى ومعا ، وبقيت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يافلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حقي وحتى ان الكافر ليقول يامؤمن اقضني حقي » ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفا والله أعلم . ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعا ، وأن ذلك في زمان عيسى ابن مريم وهو يطوف بالبيت ولكن إسناده لايصح (حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً » (حديث آخر) روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة » تفرد به وله من حديث قتادة عن الحسن عن زياد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستا : الدجال والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم » . (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا حرملة ابن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعيد عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة والدجال وخويصة أحدكم وأمر العامة » تفرد به . (حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أويس بن خالد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتخطم أنف الكافر بالعصا وتجلى وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر » ورواه الإمام أحمد عن بهز وعفان ويزيد بن هرون ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به ، وقال « فتخطم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى إن أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا يا كافر » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو حدثنا أبو مسهر حدثنا خالد بن عبيد حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : ذهب بي

رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخرج الدابة من هذا الموضع » فاذا فتر فى شبر قال ابن بريدة فحججت بعد ذلك بسنين فأرانا عصاً له فاذا هو بعصاى هذه كذا وكذا . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن ابن عباس قال : هى دابة ذات زغب لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبدالله بن رجاء حدثنا فضيل ابن مرزوق عن عطية قال : قال عبد الله تخرج الدابة من صدع من الصفا كجرى الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها ، وقال محمد بن إسحق عن أبان بن صالح قال : سئل عبدالله بن عمرو عن الدابة فقال الدابة تخرج من تحت صخرة بجياد والله لو كنت معهم أولوشئت بعصاى الصخرة التى تخرج الدابة من تحتها . قيل فتصنع ماذا ياعبد الله بن عمرو فقال تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان قيل . ثم ماذا قال ثم لاأعلم ، وعن عبدالله بن عمر أنه قال . تخرج الدابة ليلة جمع . رواه ابن أبى حاتم وفى إسناده ابن البيلمانى . وعن وهب بن منبه أنه حكى من كلام عزير عليه السلام أنه قال : وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها ، وتضع الحبالى قبل التمام ، ويعود الماء العذب أجاجاً ويتعادى الأخلاء وتحرق الحكمة ويرفع العلم وتكلم الأرض التى تليها ، وفى ذلك الزمان يرجو الناس مالا يبلغون ، ويتعبون فيما لاينالون ، ويعملون فيما لا يأكلون رواه ابن أبى حاتم عنه . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عن أبى مريم أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : إن الدابة فيها من كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب ، وقال ابن عباس هى مثل الحربة الضخمة ، وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : إنها دابة لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب ولها لحية ، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثها رواه ابن أبى حاتم . وقال ابن جريج عن ابن الزبير إنه وصف الدابة فقال : رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثناعشر ذراعاً تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكتت فى وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشوا تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ، ولا يبقى كافر إلا نكتت فى وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون فى الأسواق بكم ذا يامؤمن بكم ذا يا كافر ؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابه يافلان أبشر أنت من أهل الجنة ؟ ويافلان أنت من أهل النار . فذلك قول الله تعالى (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِئَايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَآءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِئَايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ * أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بآيات الله ورسله إلى بين يدى الله عز وجل ليسألهم عما فعلوه فى الدار الدنيا تقريعاً وتوبيخاً وتصغيرا وتحقيرا فقال تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً) أى من كل قوم وقرن فوجاً أى جماعة (ممن يكذب بآياتنا) كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال تعالى (وإذا النفوس زوجت) وقوله تعالى (فهم يوزعون) قال ابن عباس رضى الله عنهما : يدفعون وقال قتاده : وزعة : ترد أولهم على آخرهم . وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : يساقون (حتى إذا جاءوا) ووقفوا بين يدى الله عز وجل فى مقام المساءلة (قال أكذبتم بآياتى

ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون) أى فيسئلون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم (فلا صدق ولا صلى * ولكن كذب وتولى) فحينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى (هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون) الآية وهكذا قال ههنا (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أى بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا فى الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذى لا تخفى عليه خافية . ثم قال تعالى منبها على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع الذى تجب طاعته والانقياد لأوامره وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذى لا محيد عنه فقال تعالى (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) أى فى ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهدأ أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب فى نهارهم (والنهار مبصرا) أى منيرا مشرقا فبسبب ذلك يتصرفون فى المعايش والمكاسب والأسفار والتجارات وغير ذلك من شئونهم التى يحتاجون إليها (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ * مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع فى الصور وهو كما جاء فى الحديث قرن ينفخ فيه . وفى حديث الصور إن إسرافيل هو الذى ينفخ فيه بأمر الله تعالى فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويطولها وذلك فى آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من فى السموات ومن فى الأرض (إلا من شاء الله) وهم الشهداء فانهم أحياء عند ربهم يرزقون قال الإمام مسلم بن الحجاج حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى حدثنا أبى حدثنا شعبة عن النعمان ابن سالم سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنه وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذى تحدث أن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال سبحان الله؟ أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يخرب البيت ويكون ويكون - ثم قال - قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين - لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما - فيبعث الله عيسى بن مريم كانه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه » قال سمعتها من رسول الله ﷺ قال « فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا - قال - وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - مطرا كانه الطل - أو قال الظل ، شعبة الشاك - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤلون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق » وقوله ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا . الليت هو صفحة العنق أى أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدا فهذه نفخة الفزع ، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت ، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور لجميع

الخلائق ولهذا قال تعالى (وكل أتوه داخرين) قرئ بالمد وبغيره على الفعل وكل بمعنى واحد وداخرين أى صاغرين مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) وقال تعالى (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) وفى حديث الصور أنه فى النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح فتوضع فى ثقب فى الصور ثم ينفخ إسرافيل فيه بعد ما تنبت الأجساد فى قبورها وأماكنها فإذا نفخ فى الصور طارت الأرواح تتوهج أرواح المؤمنين نورا وأرواح الكافرين ظلمة فيقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى جسدها . فتجىء الأرواح إلى أجسادها فتدب فيها كما يدب السم فى اللديغ ثم يقومون ينفضون التراب من قبورهم قال الله تعالى (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) وقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) أى تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهى تمر مر السحاب أى تزول عن أماكنها كما قال تعالى (يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال سيرا) وقال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا * فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وقوله تعالى (صنع الله الذى أتقن كل شىء) أى يفعل ذلك بقدرته العظيمة (الذى أتقن كل شىء) أى أتقن كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع (إنه خبير بما يفعلون) أى هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء . ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال (من جاء بالحسنة فله خير منها) قال قتادة بالإخلاص وقال زين العابدين هى لا إله إلا الله وقد بين تعالى فى الموضع الآخر أن له عشر أمثالها (وهم من فزع يومئذ آمنون) كما قال فى الآية الأخرى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) وقال تعالى (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) وقال تعالى (وهم فى الغرفات آمنون)وقوله تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار) أى من لقى الله مسيئا لا حسنة له أو قد رجحت سيئاته على حسناته كل بحسبه ولهذا قال تعالى (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) وقال ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم وأنس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعى وأبو وائل وأبو صالح ومحمد ابن كعب وزيد بن أسلم والزهرى والسدى والضحاك والحسن وقتادة وابن زيد فى قوله (ومن جاء بالسيئة) يعنى بالشرك .

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا رسوله وآمرا له أن يقول (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء) كما قال تعالى (قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما قال تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ؛ وقوله تعالى (الذى حرمها) أى الذى إنما صارت حراما شرعا وقدرا بتحريمه لها كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها » الحديث بتمامه . وقد ثبت فى الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع كما هو مبين فى موضعه من كتاب الأحكام ولله الحمد والمنة . وقوله تعالى : (وله كل شىء) من باب عطف العام على الخاص أى هو رب هذه البلدة ورب كل شىء ومليكه لا إله إلا هو (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له . وقوله (وأن أتلو القرآن) أى على الناس

أبلغهم إياه كقوله تعالى (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) وكقوله تعالى (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) الآية أى أنا مبلغ ومنذر (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) أى لى أسوة بالرسل الذين أنذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم وخلصوا من عهدتهم وحساب أممهم على الله تعالى كقوله تعالى (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال (إنما أنت نذير والله على كل شىء وكيل) (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) أى لله الحمد الذى لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه، والانذار اليه، ولهذا قال تعالى (سيريكم آياته فتعرفونها) كما قال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقوله تعالى (وما ربك بغافل عما تعملون) أى بل هو شهيد على كل شىء. قال ابن أبى حاتم ذكر عن أبى عمر الحوضى حفص بن عمر حدثنا أبو أمية بن يعلى الثقفى حدثنا سعيد بن أبى سعيد سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس لا يغترن أحدكم بالله فان الله لو كان غافلا شيئاً لأغفل البعوضة والخردلة والذرة» وقال أيضا حدثنا محمد بن يحيى حدثنا نصر ابن على قال أبى أخبرنى عن خالد بن قيس عن مطر عن عمر بن عبد العزيز قال: فلو كان الله مغفلا شيئاً لأغفل ما تعفى الرياح من أثر قدمى ابن آدم، وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه كان ينشد هذين البيتين إماله وإما لغيره

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا أن ما يخفى عليه يغيب

آخر تفسير سورة النمل ولله الحمد والمنة

﴿تفسير سورة القصص وهى مكية﴾

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم حدثنا وكيع عن أبيه عن أبى إسحق عن معديكرب قال أتينا عبدالله فسألناه أن يقرأ علينا طسم المائتين فقال ما هى معى ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرت قال: فأتينا خباب بن الارت فقرأها علينا رضى الله عنه.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم * تلك ءايات الكتاب المبين * نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة، وقوله (تلك) أى هذه (آيات الكتاب المبين) أى الواضح الجلى الكاشف عن حقائق الأمور وعلم ما قد كان وما هو كائن. وقوله (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) الآية كما قال تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) أى نذكر لك الأمر على ما كان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر ثم قال تعالى (إن فرعون علا فى الأرض) أى تكبر وتجبر وطغى (وجعل أهلها شيعاً) أى أصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته وقوله تعالى (يستضعف طائفة منهم) يعنى بنى إسرائيل وكانوا فى ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم فى أخس الأعمال، ويكدهم ليلا ونهارا فى أشغاله وأشغال رعيته ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيى نساءهم إهانة لهم واحتقارا وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذى كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه. وكانت القبط قد تلقوا هذا من بنى إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها